الفصل السادس
الماء والطهارة

الإسلام دين الطهارة، فتعاليمه تحث على نظافة البدن وطهارة الثياب. وليست الطهارة المقصودة هى الطهارة الظاهرية فقط، ولكن ديننا الحنيف يحثنا على أن نحرص على التطهر ظاهريا بالنظافة وإزالة مسببات الدنس، وباطنيا بالتمسك بمكارم الأخلاق ونهى النفس عن الأهواء والأحقاد والحسد. وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز «... **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**» (البقرة آية ٢٢٢)، كما قال مخاطبا النبى عليه الصلاة والسلام فى سورة المدثر «**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**» (المدثر آية ٤).

والماء هو وسيلة النظافة التى يعرفها البشر جميعاً بإختلاف إنتماءاتهم وألوانهم. والماء الذى يصلح للطهارة فى الفقه الإسلامى يعرف بأنه كل ماء طاهر فى نفسه مطهر لغيره، كماء المطر والثلج والبرد، كما جاء فى الآية الكريمة «... **وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**» (الفرقان آية ٤٨)، وكما جاء فى دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بين التكبير والقراءة فى الصلاة ***(اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد)*** (رواه الجماعة إلا الترمذى)

وماء البحر كذلك يعتبر ماءً طاهرا يصح به الغسل والوضوء لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر ***(هو الطهور ماؤه الحل ميتته)*** (رواه الخمسة). ويعامل الموتى أيضا معاملة الأحياء فى موضوع الطهارة فالميت لا يصح غسله إلا بما يصح به التطهير للحى. ويوجد تفصيل لأنواع المياه التى يجوز استعمالها للطهارة وكذلك مسببات فسادها فى الكتب الخاصة بالفقه الإسلامى.

والوضوء من الأعمال الهامة التى لا تصح الصلاة إلا بها، فهى شرط لصحة الصلاة إلا إذا انعدم الماء استبدل الوضوء بالتيمم. والوضوء بجانب كونه وسيلة للنظافة الظاهرية، فهو من جانب آخر استعداد نفسى يهيء الإنسان ذهنيا للابتعاد عن مشاغل الدنيا والتجرد منها، وهو إعداد للإنسان للوقوف خاشعاً بين يدى خالق الكون لأداء عمل من أقدس الأعمال التى كلف بها الإنسان فى حياته وهو الصلاة.

أما من الناحية الطبية، فللوضوء فوائد كثيرة، إذ يسبب غسيل البشرة بالماء انقباضا مؤقتا للعروق الشعرية السطحية، تعود بعدها لحالتها الطبيعية فيؤدى ذلك إلى ارتفاع قليل فى ضغط الدم وزيادة فى حركة القلب. كما يؤدى إلى تقوية حركة التنفس فيزيد بذلك مقدار المبادلات الغازية خلال الرئتين ويسبب ذلك الغسل أيضا تنبيها خفيفا لأعصاب الجلد. ومن ناحية النظافة والوقاية، فالوضوء يقى من أمراض الأسنان واللثة، فنظافة الفم تجنب الإنسان العدوى التى تنتشر عن طريق الجهاز التنفسى والفم. وكذلك فإن غسل الوجه واليدين والقدمين يقى من الأمراض الجلدية والالتهابات، كما أن الغسيل بالماء يؤدى إلى تفتح المسام وزيادة إفراز الغدد العرقية وإزالة ما يتعرض له الجلد من ميكروبات وجراثيم تنتشر فى كل مكان.

والآيات التى تتحدث عن مشروعية التيمم فى حالة عدم القدرة على الحصول على الماء، هى الآيات التالية من سورتى النساء والمائدة. «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنْتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**» (النساء آية ٤٣)، «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**» (المائدة آية ٦).

وفى الآية الثانية تفصيل لعملية الوضوء بالماء، وكذلك الأسباب التى تتطلب الطهارة ثم الطريقة التى يتم بها التيمم.

ومن عفو الله وغفرانه أنه شرع التيمم للمسلمين والصلاة به إذا فقدوا الماء توسعه عليهم ورخصه، وهذا تنزيه للصلاة أن تفعل على هيئة ناقصة أو جنابة، وهو من

رحمة الله بعبادة ورأفة بهم وتسهيلا عليهم. كما أباح الله تعالى التيمم عند المرض كما فى حالة فقد الماء رحمة بالعباد وجعل التيمم يقوم مقام الماء.

أما الآية التالية فهى تدور حول الطهارة وقد وردت فى مناسبة معينة : «**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**» (الأنفال آية ١١). والخطاب فى هذه الآية لأهل بدر، والمعنى : اذكروا حين يلقى عليكم النعاس أماناً من الله لكم وينزل عليكم المطر من السماء ليطهركم من الأحداث والجنابات ويدفع بذلك عنكم وسوسة الشيطان وتخويفه إياكم من العطش، وليقوى قلوبكم بالثقة بنصر الله برغم قلة عددكم، ويثبت بالمطر الأقدام حتى لا تسوخ فى الرمال. ويروى أن المسلمين نزلوا فى كثيب تسوخ فيه الأقدام وناموا فاحتلم بعضهم، فوسوس لهم الشيطان : كيف تُنصرون وقد غلبتم على الماء، وأنتم تصلون محدثين مجنبين، وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله؟.. فأنزل الله المطر، فشرب المسلمون وتطهروا وثبت أقدامهم، وأذهب الله عنهم وسوسة الشيطان.